النعم الا بتكلف الصد او لكمال الاشتغال عن ذلك بغيره والصد ونعوذ بالله من ذلك قال الامام
رضي الله عنه وقيل اربعة لا ثمرة لاعمالهم مسار الاصم وواضع النعمة عند من لا يشكر والباذر
في السبخة والمسرج في الشمس قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية مقصودها
هو واضع النعمة عند من لا يشكر وفيه ذم من لا يشكر لكونه ممن لا يصلح ان ينعم عليه وضمنها
التحريص على الشكر وبه حسن دخولها في الباب قال الامام رضي الله عنه وقيل لما بشر ادريس
عليه السلام بالمغفرة سال الحياة فقيل له فيه فقال لاشكره فاني كنت قبله اعمل للمغفرة
فبسط الملك جناحه وحمله الى السما قال الشارح رضي الله عنه وهذه ثمرات الشكر وفا بقوله
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فلما بشر بالمغفرة وامتلا قلبه سرورا بهذه النعمة سال الله تعالى
ان يطيل عمره ليبلو الى شكرها فلما عزم على هذا الشكر العظيم سخر له الملك ليحمله على جناحه
الى المقام الشريف الذي هو به مقيم كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا قال الامام رضي الله عنه
وقيل مر بعض الانبيا عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه الما الكثير فتعجب منه فانطقه الله
معه فقال لما سمعت الله تعالى يقول نارا وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فسأله
ذلك النبي ان يجيره الله ذلك الحجر فاوحى الله سبحانه اليه اني اجرته من النار فمر ذلك النبي عليه
السلام فلما دعا وجد الما ينفجر من مثل ذلك فتعجب فانطق الله تعالى ذلك الحجر معه فقال له
لم تبكي وقد غفر الله لك فقال كان ذلك بكا الحزن والخوف وهذا بكا الشكر والسرور قال
الشارح رضي الله عنه وهذا وامثاله مما يجري الله تعالى به على الانبيا عليهم السلام ويكرم
عليهم خوارق العادات وعجايب افعاله في مخلوقاته ليكمل تعظيمهم له واجلاله في قلوبهم
وذلك ان حجرا صغيرا يجري منه ما كثير مخالف للعادة وانما يجري الما الكثير من الجبل
الذي يحمل الما الكثير فينبع منه فكما وقف متعجبا منه هذا النبي صلوات الله على نبينا وعليه
انطق الله الحجر له بسبب خروج كثرة هذا الما وانه بكي الخوف من عذاب الله تعالى لما سمعه تعالى
يقول نارا وقودها الناس والحجارة فخاف ان يكون من تلك الحجارة فلما ان النبي ذلك سال الله
فيه وان لا يجعله منها واعلمه بذلك ومضى بنا امنه على انه يسكت ولا يبكي فغاب النبي عليه
السلام عنه مدة ثم رجع اليه فوجد الما يجري منه على عادته فكانه تعجب من بكايه
وربما سال عنه فانطق الله الحجر له بان ذلك كان بكا الحزن والخوف وهذا بكا الحمد والفرح
والشكر وروح هذه الحكاية ان كمال العبد في شكره ان يكون متعبدا بشكره خاشعا
متذللا لارادة زيادة فضله عليه بالهامه لشكره مع نظره الى نفسه وعدم صلاحيته لما ترتب
عليه فهو معترف شاكر متذلل في نفسه صاغر قال الامام رضي الله عنه وقيل الشاكر
مع المزيد لانه في شهود النعمة قال الله عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم والصابر مع الله تعالى لانه
في شهود المبلي قال الله سبحانه ان الله مع الصابرين قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه

نظر فانه لا يلزم من كل شاكر ان يكون شكره طلبا للمزيد وان كان الحق سبحانه وعد على الشكر
المزيد وقد يكون هم الشاكر شكره لله على من انعم عليه خاصة وثناؤه عليه بذلك ولا يخطر
بباله المزيد فلا يكون مع المزيد واقفا وكذلك الصابر لا يلزم ان كل صابر يرى المبلي في نفس بلايه
بل يحبس نفسه عن التسخط بما هو فيه ويكون صابرا فلا يكون مع الله اي ناظرا اليه في حال البلا
فقد تبين بذلك ان الامر منقسم مختلف باختلاف الشاكرين والصابرين فرب صابر ناظر
المبلي في حال بلايه فيخف به بذلك ويزول عنه جزعه وتسخطه ورب شاكر يكون
قصده بشكره مع ثنايه على ربه تحصيل ما وعد به من الزيادة فيكون واقفا مع شكره
قال الامام رضي الله عنه وقيل تقدم وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان فيهم
شاب فاخذ يخطب فقال عمر الكبر الكبر فقال الشاب يا امير المومنين لو كان الامر بالسن
لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة
اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك فقال فمن انتم
فقال وفد الشكر جيناك لنشكرك وننصرف وانشدوا ومن الرزية ان شكري صامت
عما فعلت وان برك ناطق ٢ ارى الصنيعة ثم اسرها اني اذا ليد الكريم لسارق ٢
قال الشارح رضي الله عنه وفي هذه الحكاية من الادب ما ننبه عليه وذلك ان جماعة
اذا وفدوا فينبغي ان يتقدم الى كلام الخلفا واهل الفضل اكبرهم سنا واعلمهم بمواقع الخطاب
والجواب فلما اتى هذا الوفد وتكلم منهم شاب لم يرض ذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه وقال الكبر الكبر يعني ليتكلم كبيركم فاجابه هذا الشاب بانك صدقت
يا امير المومنين ولكن الكبر قد يكون بالسن وقد يكون بالمعنى والفضل ولو كان التقدم
على الجماعة بالسن لكان في المسلمين من هو اسن من امير المومنين فعرف امير المومنين
فضله ورفعه على نفسه من جهة فقال له تكلم فقال يا امير المومنين لسنا وفد الرغبة
اي ما جينا لنطلب منك شيا ولا خفنا من شي نخلص منه ثم شرح ذلك فقال اما
الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك اي ونحن ببلادنا واما الرهبة فقد امننا منها
عدلك ونحن بمواضعنا فقال له امير المومنين فمن انتم فقال نحن وفد الشكر جيناك
نشكرك وننصرف على ما نحن فيه من امنك وفضلك وفايدة هذه الحكاية الجد في الاسعار
من العقلا في تبليغ الشكر لمن يستحقه فاذا كان المنعم حاضرا والنعم متوالية والقلب
واللسان صامتة عن الشكر كان من اقبح القبايح عادة وشرعا ولذلك قال في الشعر
الذي اردف به الحكاية ومن البلية جعله بلا ان شكري صامت عما فعلت وان
بره ناطق اي نعمك علي متوالية ظاهرة وانا لا اشكرها ثم وبخ نفسه بقوله ارى
الصنيعة منك ثم اسرها اني اذا ليد الكريم لسارق بجعل اخفاء النعم سرقة وتحمل

Copyright © King Saud University